

الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئلا من آياتنا» .
فإن السرى في لثة العرب لا يكون إلا ليلاً ؛ والحكمة هي
الإشارة إلى أن القصة قصة النجم الانساني العظيم التي تحول
من انسانيته إلى نوره السماوي في هذه المعجزة ، ويتم هذه
العجيبة أن آيات « المراج » لم تجيء إلا في سورة « والنجم »
وعلى تأويل أن ذكر (الليل) إشارة إلى قصة النجم ،
تكون الآية بزهان نفسها ، وتكون في نكفها قد جاءت معجزة
من المعجزات البيانية . فاذا قيل إن نجماً دار في السماء ، أو قطع
ما تقطعه النجوم من المسافات التي تعجز الحساب ، فهل في ذلك
من عجيب ؟ وهل فيه شك أو نظر أو تردد ؟ وهل هو إلا من
بعض ما يسبح الله بذكره ؟ وهل يكون إلا آية اتصلت بالآيات
التي يراها اتصال الوجود بعضها ببعض ؟

وأنا ما يكاد ينقض عجبى من قوله تعالى : « لئلا من آياتنا »
مع أن الألفاظ كما ترى مكشوفة واضحة ، يخيل اليك أن ليس
وراءها شيء ، ووراءها السرُّ الأكبر ؛ فانها بهذه العبارة نصي
على اشراف النبي صلى الله عليه وسلم فوق الزمان والمكان يرى
بغير حجاب الحواس مما مرجعه إلى قدرة الله لا قدرة نفسه ،
بخلاف ما لو كانت العبارة (ليرى من آياتنا) فان هذا يجعله
لنفسه في حدود قوتها وحواسها وزمانها ومكانها ، فيضطرب
الكلام ويتطرق اليه الاعتراض ولا تكون ثم معجزة . وتحويل
فعل (الرؤية) من صيغة إلى صيغة كما رأيت هو بيانه إشارة
إلى تحويل الرأي من شكل إلى شكل كما استمره ، وهذه معجزة
أخرى يسجد لها العقل ؛ فتبارك الله مُزِيلُ هذا الكلام !

وإذا كان صلى الله عليه وسلم نجماً إنسانياً في نوره فان يأتي
هذا إلا من غلبة روحانيته على مادته ؛ وإذا غلبت روحانيته كانت
قواه النفسية مهياة في الدنيا لمثل حالتها في الآخرة ؛ فهو في
هذه المعجزة أشبه بالهواء المتحرك . قتل الآن : أيترض على
الهواء إذا ارتفع بأنه لم يرتفع في طيارة . . . ؟

ومن ثم كان الانسان إذا ما درجة واحدة في نبات قواه
الروحية ، ما بها درجات فوق الدنيا وما فيها ، وسُخِّرَتْ له
المعاني التي تسخر غيره من الناس ، ونشأت له نواويس أخلاقية
غير النواويس التي تسلط بها الأهواء . ومتى وُجِدَ الشيء من

فوق الأدمية

الاسراء والمعراج

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

من أعجب ما اتفق لي أني فرغت من تسويد هذا المقال ثم
أردت نقله فتسمر على وصرفت عنه بألم شديد اعتراني
ونالني منه ثقلة في الدماغ (١) ؛ ثم كشفه الله بعد يوم
فراجعت الكتابة ، فاذا قلبي ينيث بهذه الكلمات :

كيف يستوطني السلمون العجز ، وفي أول دينهم
تسخير الطبيعة ؟

كيف يستمهدون الراحة ، وفي صدر تاريخهم عمل
المعجزة الكبرى ؟

كيف يركنون إلى الجهل ، وأول أمرهم آخر غايات العلم ؟
كيف لا يحملون النور للعالم ، وينبئهم هو الكائن
النوراني الأعظم ؟

قصة الاسراء والمعراج هي من خصائص نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ، هذا النجم الانساني العظيم ، وهذا النور المتجسد
لهداية العالم في حيرة ظلماته النفسية ؛ فان سماء الانسان تنظلم
وتنقى من داخله بأغراضه وممانيه . والله تعالى قد خلق للعالم
الأرضي شمساً واحدة تنيره وتحميه وتقلب عليه بليله ونهاره ،
يذأنه ترك لكل انسان أن يصنع لنفسه شمس قلبه وغمامها
وسحابها وما تُسْقِرُ به وما تُنظِّمُ فيه . ولهذا سُمي القرآن نورا
لعمل آدابه في النفس ، ووُصِفَ المؤمنون بأنهم « يسي نورهم
بين أيديهم وبأيمانهم » ، وكان أثر الايمان والتقوى في تعبير
القرآن الكريم أن يجعل الله للمؤمنين نورا عيشون به

ولقد حار القسرون في حكمة ذكر « الليل » في آية « الاسراء »
من قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد
(١) لما اعتراني هذا كتبت للأستاذ الزيات أخبره به لئلا يعلم أن المقال
سجأ من موعده

الوجود ويبصر ما يقع على البعد ويرى ما هو آت قبل أن يأتي .
وما الكون في هذه الحالة إلا كالمشوق يقول لماشقه الذي وقع
في قلبه الحب : قد آتيتك نوراً تنظر به جمالي

وفي علماء عصرنا من يفكر في الصعود إلى القمر ، وفيهم
من يعمل للمخاطبة مع الأفلاك ، وفيهم من تقع له العجائب في
استحضار الأرواح وتسخيرها . وكل ذلك أول البرهان الذي
سَيُلْزِمُ القم فيضطره في يوم ما إلى الاقرار بصحة الاسراء
والمعراج . .

ونحن قبل أن نبدي رأينا في القصة نلّم بها للامة موجزة ؛
فقد اختلفت فيها الأحاديث ووقع فيها تخليط كثير جاءت فتونا
وأواعاً من طرق شتى حتى جمعها بعضهم في جزئين^(١) ، وما
يتمثل كل ذلك ولا بعضه ؛ ولكن روح الرواية في ذلك الزمن
كانت كروح الصحافة في هذا العصر ، متى قامت فوراًها
استحدثت من كل عبارة عبارة أخرى ، وعلى هذه الطريقة تخرج
من العبارتين عبارة ثالثة ، فيكون الأصل معنى واحداً وإذا هو
يُمدُّ من عينه ويساره

ولا يرون بذلك بأساً فانهم يَشُدُّون به الرأي ويضاعفون
منه اليقين ، ويزيدون ضوءاً في نور المعنى ، وما داموا قد أثبتوا
الأصل واستيقنوه فلا حرج أب يؤيد القول ببعضه بعضاً
باجتهاد في عبارة ، واستنباط من أخرى ، وزيادة في الثالثة -
نما هو بسبيل منها ، على نحو ما ترى من فن الرواية القصصية ؛
لذا تتمدد الأساليب والبيانات مختلفة متنوعة ، وليس تتمها إلا
حقيقة واحدة لا تختلف . والقصاصُ الدبني في هذه اللغة العربية
فن كامل قائم بنفسه لا يُبدع العقل والخيال والمحافظة أقوى منه
ولا أعجب ولا أغرب

هذا في متن القصة ؛ أما في واقعتها فقد اختلفوا اختلافاً
آخر ؛ هل كان الاسراء والمعراج بقظة أو متاماً ، وبالروح
وجدها أو بالروح والجسم معاً ؟ وإنما ذكرنا هذا الخلاف لأنه
الدليل القاطع على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبر بشيء من
ذلك فلم يمتن لهم وجهاً من هذه الأوجه . والحكمة في ذلك

(١) قال الذهبي : إن الجناظ عبد النبي جمع أحداث الاسراء في جزئين

الأشياء كانت طبائع وجوده هي نوايميه . فالنار مثلاً إذا هي
تضرمت أوجدت الاحراق فيما يحترق ، فان وضع فيها مالا
يحترق أبطل نوايميهما وغلب عليها

وكل معجزة تحدث فهذا هو سبيلها في إيجاد النوايميس
الخاصة بها وإبطال النوايميس المألوفة ، وبهذا يقال إنها خرقت
العادة ؛ ومن النور نوراً لا يشف له غير الهواء ، ومنه أشعة
(رتجن) التي تشف لها الجدران والحجيب ؛ فهذه معجزة في ذاك

والنبي لا يكون نبياً حتى يكون في إنسانه إنسان آخر
بنوايميس تجعله أقرب إلى الملائكة في روحانيته ؛ وما ينزل
إنسانه الظاهر من الانسان الباطن فيه إلا منزلة من يتاق من
يُعطى . فذاك الباطن هو للحقائق التي لا تحملها الدنيا ، وهذا
الظاهر لما يمكن أن يبلغ إليه الكمال في النثل الانساني الأعلى ،
ولولا ذلك الباطن ما استطاع نبي من الأنبياء أن يحمل هموم أمة
كاملة لا تضنيه ولا تنيره ولا تعجزه

حقيقة النبوة أنها قوة من الوجود في انسان مختار جاءت
تصلح الوجود الانساني به لتقر في هذه الحيوانية للهدية مثلها
الأعلى ، بدلاتها على طريقها النفس مع طريقها الطبيعي ؛ فيكون
مع الانحطاط الرق ، ومع النقص الكمال ، ومع حكم الفرزة
التحكم في الفرزة ، ومع الظلمة للنادية الاشرار الرواحي

وما المعجزات إلا شأن تلك القوة الباطنة لا شأن إنسانها
الظاهر . ومن الذي ينكر أن قوى الوجود هي في نعمها إعجاز
للعقل البشري ؟ وهل ينكر اليوم أحد شأن هذه القوة في (الرايو)
حين مسته بملت الكلمة التي ترسل بين الشرق والغرب ،
كالكلمة بين اثنين يتحدثان في مجلس واحد ؟

ونحن نرى معجزات التنويم المغناطيسي وما يبصره التأم وما
يسمعه وما ينكشف له مما وراء الزمان والمكان ؛ وليس التنويم
شيئاً إلا تسيط الذات الباطنة بهواها الروحية المعجبية على القات
الظاهرة المقيدة بحواسها المحدودة ، فتطني عليها فتصبح الحواس
مطلقة شائعة في الوجود بمقدار ما فيها من قواه لا يقدر ما فيها من
قوة شخصها ، وعلى نحو من ذلك يتصل الرجل الروحاني بذاته
الباطنة ، فيوقع شخصه الظاهر في الاستهواء ، فينكشف له

ونحن على الرأي الذي عليه جمهور العلماء من أن الاسراء والمراج كما بالجسم والروح معاً على التأويل القى سنينيه .
ويثبت ذلك قوله تعالى في سورة (والنجم) : « لا إذ ينشئ السُّدْرَةَ ما يَنْشِئُ ، ما زَاغَ البَصْرُ وما طَفَى » . فلا يكون البصر يزيع ويطفى إلا في الجسم ولا ينتقى عنه ذلك إلا وهو في الجسم . ولم ينتبه أحد من المفسرين إلى المعنى العجيب في قوله (وما طَفَى) ؛ فذلك نص على أنه كان يرى بجسم قد محمول عن الطبيعة الآدمية المحدودة فليس فيه منها شيء ، إذ لا يكون طنينان البصر إلا من تسلط الخيال عليه بأهواء الجسم التي لا يستقيم بها حكم على حقيقته ، فما زاغ البصر بكونه مقيد الحاسة ، ولا طفى بكونه مطلق الخيال ، بل كان كما يُرى الله من آياته ، أى كان حقيقةً كونيةً في غير حالتها الأرضية الناقصة

والذين قالوا إن الاسراء والمراج كانا رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وسلم ؛ احتجوا لذلك بقوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس » وقد خلط المفسرون في هذا أيضاً ، وإنما كان التعبير بلفظ « الرؤيا » وهي التي تكون مناماً ، لفي تأثير الحواس على الرائي واثبات أن الطبيعة الآدمية بجملة كانت فيه كالنائمة عن حياتها الأرضية بمحاثتها وأخيلتها معاً فليس نأتماً كالنائم ولا مستيقظاً كالمستيقظ

وفي أساس القصة جبريل والبراق ؛ وهما القوة الملائكية ، والقوة الطبيعية ، أو الروح الملائكي والروح الطبيعي ، ولم يوصف البراق بأنه دابة إلا رضاً إذ لا يأى للعرب أن يفهموا ما يراد منه وعندنا أنه سمي البراق من البرق ، وما البرق إلا الكهربائية ، وهذا هو المراد منه . فتلك قوة كهربائية متى نبضت جمعت أول العالم بآخره . وهذه هي الحكمة في أن آية الاسراء لم تذكر أنه كان محمولاً على شيء ، إذ لم يكن محمولاً إلا على الروح الأثير وما دامت القوة الملائكية والقوة الطبيعية قد سُخرتاه صلى الله عليه وسلم فلا معنى لأن يكون ذلك للروح وحدها ، بل اجتماعهما معاً في القمة دليل على أن سر المعجزة إنما كان في تيسير ملامة جسمه الشريف لهاتين الحاتين ؛ فيتحول في صورة كونية ملائكية بين سر الملك وسر الطبيعة ، وحينئذ لا تجرى عليه أحكام الحواس ولا أحكام المادة
ومن الممكن أن تتحول الأجسام إلى حالتها الأثيرية في بعض

أن عقولهم لم تكن تحتل الإدراك العلى الذي أسسه الكهرياء والأثير . . .

والخلاصة التي تتأدى من القصة : أنه صلى الله عليه وسلم كان مضطجماً فأناه جبريل فأخرجه من المسجد فأركبه البراق فأنى بيت المقدس ثم دخل المسجد فعلى فيه ، ثم عرج به إلى السموات فاستفتحها جبريل واحدة واحدة ، فرأى فيها من آيات ربه ، واجتمع بالأنبياء صلوات الله عليهم ، وصعد في سماء بصد سماء إلى سدرة المنتهى ، ففشيها من أمر الله ما غشها ، فرأى صلى الله عليه وسلم مظهر الجمال الأزلى ، ثم زُجَّ به في النور فأوحى الله إليه ما أوحى

أما وصى القصة وطرأها فبابٌ عجيب من الرموز الفلسفية الانسانية التي يُرْمى بها إلى تجسيد الأعمال في هذه الحياة ، تكون تبعاً وتقع فائدة ، أو تلتبس منفعة وشهوة وتقع مضرةٌ وحماقة ، ثم تنفى من هذه وتلك المبشور الزمنية التي توهمها أصحابها ، وتخلد الصور الأبدية التي جاءت بها حقائقها

ومن هذه الرموز البديعة قوله : فجاءني جبريل باناء من خمر وإناه من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل أخذت الفطرة . وإناه مرٌ على قوم يزرعون ويحصدون في كل يوم كلما حصدوا عاد كما كان ؛ فسأل ما هذا ؟ قال جبريل : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنه سبعمائة ضعف . ثم أتى على قوم تُرْمِخُ رءوسهم بالصخر ، كلما رُمِيَتْ عادت كما كانت ولا يُفْتَرُ عنهم من ذلك شيء . فقال ما هذا ؟ قال جبريل : هؤلاء الذين تتناقل رءوسهم عن الصلاة . ثم أتى على قوم بين أيديهم لحمٌ نضيج في قدر ، ولحمٌ آخر في قدر خبيث ، فجللوا يأكلون من النبي الخبيث ومدعون النضيج . فقال ما هؤلاء ؟ قال جبريل : هذا الرجل تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأني رجلاً خبيثاً . ثم أتى على رجل قد جمع حزمةً عظيمةً لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الرجل تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها . ثم رأى نساءً معلقاتٍ بثديهن ، فسأل ، فقال جبريل : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم

١ - مدينة الزهراء

ومياتها الملوكية الفصيرة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

قرأنا منذ حين في بعض الأبناء الخارجية أن بعض الهيئات الأثرية في اسبانيا تبنى بالبحث لاكتشاف معالم مدينة الزهراء الأندلسية ، وأنها قد وقفت بالفعل إلى اكتشاف بعض أسس قديمة في ضاحية قرطبة يظن أنها من أسس قصر الزهراء ؛ وجدير بمثل هذا النبأ أن يثير شجناً في نفس أولئك الذين يستعرضون تاريخ الأندلس ، وتاريخ قاعدتها الملوكية الشهيرة التي غاضت من صفحة الوجود حتى لم يبق من أطلالها اليوم ما يدل على مواقعها ومعالمها

كانت الزهراء من أعظم القواعد الملوكية التي عرفها التاريخ ، ولكنها لم تتمر طويلاً ولم تقم في تاريخ الأندلس بدور ذي شأن ، ولم يزلها سوى مؤسسها الناصر وولده الحكم وابنه المؤيد ، ولم تتمر كقاعدة ملوكية أكثر من نصف قرن ؛ ومن غرائب القدر أنه في الوقت الذي أكلت فيه الزهراء في عهد الحكم المستنصر ، وضمت أسس قاعدة ملوكية إسلامية جديدة قدر لها أن تؤدي في تاريخ الإسلام وتاريخ الحضارة الإسلامية أعظم دور ؛ تلك هي القاهرة المزرية التي أخذت تتفتح عظيماتها وبهاؤها في نفس الوقت الذي ذوت فيه عظمة الزهراء وعصفت بها حوادث الدهر ؛ ولم تكن الزهراء أول قاعدة ملوكية في الأندلس ، ولم تكن القاهرة أول قاعدة ملوكية إسلامية في الشرق أو في مصر ، فمن قبل أنشأ هشام بن عبد الملك رصافة الشام لتكون منزلاً ملوكياً لبني أمية ، وأنشأ المعتصم سامراً لتكون منزلاً له ولعقبه من بني العباس ، وأنشأ ابن طولون مدينة القطائع بمصر لتكون له ولعقبه قاعدة ملوكية إلى جانب القسطنطينية عاصمة مصر الإسلامية ؛ وفي الأندلس أنشأ عبد الرحمن بن معاوية مؤسس ملك بني أمية بالأندلس ضاحية ملوكية في قرطبة سماها الرصافة تشبهاً برصافة جده هشام ؛ وسطمت كل من هذه القواعد

الأحوال الخارقة ، وبهذا يطل على الأرض لبعض الروحانيين وتعلل خوارق كثيرة مما يحدث في استحضار الأرواح لهذا العهد ومما يأتيه فقراء الهند ، ومما كان يصنعه « لاهوديني » الأمريكي إذ كانوا يتخللونه بالسلاسل والقيود ثم يرونه طليقاً ؛ ويعبدهونه في السجون المحصنة يقوم عليها الحراس وتمسكه فيها الأبواب والجدران ، ثم يجردونه في بعض الفنادق

وليس للعقل أن ينكر شيئاً من هذا ونحوه فإن تركيب الطبيعة رد عليه ، وتقصه هو رد على نفسه ، والمستحيل على الأعمى هو أيسر الممكنات على المبصر فأنت ترى أن ذكر البراق والملك في أساس قصة الاسراء والمراج هو صلة القصة بالمعجزة وهو عينه سلماً بالبرهان العلمي ولو لم يكونا فيها لما كان لها تفسير

والقصة بعد ذلك تثبت أن هذا الوجود يرق وينكشف ويستضيء كلما ساء الانسان بروحه ، وينلظ ويتكاثف ويتحجب كلما نزل بها ، وهي من ناحية النبي صلى الله عليه وسلم قصة تصفه بمظهره الكوني في عظمتها الخالدة كما رأى ذاته الكاملة في ملكوت الله ، ومن ناحية كل مسلم من أتباعه ، هي كالدرس في أن يكون لقلب المؤمن معراج سماوي فوق هذه الدنيا يشهد ببيصرته أنوار الحق ، وجمال الخير ، وتجدد الأعمال الانسانية في صورها الخالدة ؛ فيكون بتدبره القصة كأعما يصعد إلى السماء وينزل ؛ فيترجم إلى الحقائق الأساسية لهذه الحياة فيدفع عن نفسه بذلك وتمتد الأخيلة الذي هو أساس البلاء على الروح ومضى استنار القلب كان حياً في صاحبه وكان حياً في الوجود كله . ومضى سلت الحياة من تعقيد الخيال الفاسد لم يكن بين الانسان وبين الله إلا حياة هي الحق والخير ، ولم يكن بينه وبين الناس إلا حياة هي الرحمة والحب ما

(طنطا)

للأستاذ محمد عبد الله عنان

إلى خ . خ . د . د . من أجلك وصفت حي أنا في مذلات (الجمال الياس) وفي السنة الماضية كتبت مقالة (صبر الحب) وهي في الرسالة فارجم إليها ؛ ثم إن تعرض لك إبليس بعد أن تكون قرأت هذه الفلوات وتدبرتها فاشكك إلى أنفك منه على شرط أن تشكو إلى البوليس تلك المرأة التي يظهر لك وجهها كما يؤخذ من كتابك الرافسي